

«الجوكر» الذي اقتنص «الأسد الذهبي» بفينيسيا

شخصية من عالم «الكوميك بوكس» في مزيج من الخيال المصور وسينما الاحتجاج السياسي



رقصة الجوكر بين الواقع والخيال

«الجوكر» يمكن اعتباره فيلم دراسة لشخصية، شخصية شاب محبط فاشل في تحقيق حلمه، وهو يريد أن يقترب من الآخرين

والقدرة على السيطرة على عقول وقلوب المشاهدين وجذبهم إلى شخصية كان الكثيرون يتصورون أنها قد أشعبت تصويرها في السينما، لولا ذلك الأداء المذهل البديع من جانب الممثل الشهير جواكين فينيكس.

براعة التقمص

إن جواكين فينيكس يبدو وقد تماثل -ليس فقط مع الشخصية المضطربة المجنونة نفسيا وذهنيا- بل وجسد أيضا ملامحها «الجانسية» فهو فقد الكثير من وزنه بحيث برزت عظام كتفيه وصدغته وعموده الفقري، وبدت عيناه غائرتين، واستطاع أن يتحرك كما لو كان مزيجاً من «المهرج» الكرتوني والكائن البشري، أي الشخصية التي تريد تسليته الآخرين وإضحاحهم، كوسيلة للتغطية على الله الشخصي، ولكنه كان يستيقظ أيضا من نواباته السلبية، أي من فاصل الضحك المستمر، لكي تكتشف أنه قادر على التفكير والحكم على الأمور وفهم ما يجري من حوله وتحقيق انتقامه الخاص بطريقته، وهو يبدو في الكثير من المواقف كما لو كان يختصر نتاج إجاباته عام من القهر الاجتماعي.

وعندما يقتل يبدو كما لو كان ينتقم من ماضيه ومما تعرض له من ظلم وإنكار، وفي الوقت نفسه كما لو كان يقوم بدور في عمل من أعمال الخيال. ويبدو فينيكس في ملابس وماكياج المهرج، شديد الإقناع، لا تخفي المساحيق السمكية انفعالاته وتعبيرات عينيه، وفي الرقصة التي يؤديها على السلم أمام البيت الحقيق الذي يقيم فيه مع والدته، يتحرك بخفة وبراعة ويهبط في حركات محسوبة بدقة، كما لو كان كائنًا كرتونيًا قادماً من خارج الواقع.

ومشاهدة أداء جواكين فينيكس كافي للاستمتاع بهذا الفيلم الذي سينشق طريقه دون شك، نحو مسابقة الأكاديمية الأميركية ليثبت مجدداً، أن مهرجان فينيسيا هو الطريق الرئيسي إلى جوائز الأوسكار.

الفيلم، وهي رسالة «فوضوية» واضحة تميل إلى فكرة «التطهير» الاجتماعي بالعنف الفوضوي المجنون.

ربما تكون هذه الرسالة تحذيراً مما يمكن أن تؤدي إليه التناقضات القائمة في المجتمع الأميركي حالياً. لكنها تحاط هنا بنوع من «التمجيد» و«التجميل» بل والتعاطف مع ذلك البطل الذي يخفي في طيات ضحكاته المجنونة- المحسوبة- المصنوعة- الاستهجانية، غضبا شديدا ورغبة عارمة في التدمير.

لم يكن «الجوكر» ليصل إلى ما وصل إليه، أي كل هذه الجاذبية والرونق

المضطربة، لكنه ليس هكذا دائما فالكثير ما تشعر أنه أيضا «يفعل» هذا الفاصل من الضحك المتواصل العصبي كوسيلة للاحتجاج والرفض والتعبير عن الغضب.

داخل عربة من عربات قطار الأنفاق ثلاثة من الشباب من العاملين في البورصة في وول ستريت (الم أقل إننا في نيويورك التي هي المعادل الواقعي للمدينة غوثام سيتي؟). يتفجر آرثر في ضحكه الطويل. النتيجة أن يعتدي عليه الشباب الثلاثة ويكلونه بكل قسوة، وعندما يصبح مهذبا بالموت يخرج مسدسه ويقتل اثنين منهم، ثم يطارده الثالث في ممرات المحطة التالية التي يتوقف عندها القطار ويقتله.

وتصبح هذه الجريمة «الثلاثية» العنوان الرئيسي في جميع الصحف ووسائل الإعلام وبين السكان في المدينة كلها. لقد أصبح «المهرج» القاتل بطلا في عيون الفقراء والمؤننين والمهمشين من سكان المدينة المنقسمة التي تعاني من التناقضات الطبقة العينة.

وسيلة للتطهير

سيظهر الجوكر أخيرا في برنامج معبوده موراي فرانكلين، ولكن لكي يتعرض للسخرية والهزء. وعندما تفرغ طاقة التسامح والقدرة على التكيف مع العالم تكون النتيجة أن الجوكر سيقلب على العالم بأسره، ويصبح وسيلة لتطهير غوثام سيتي من الأثام على غرار بطل «سائق التاكسي» الذي يرتكب المذبحة الدموية في النهاية لكي يظهر المدينة من «الردئ».

المشكلة الأساسية في الفيلم، من الناحية الفنية أولا، أنه يعاني قرب نهايته من تعدد النهايات فكلما تصور المشاهد أن الفيلم انتهى عند لحظة ما، وكان يمكن أن تكون هي النهاية بالفعل، يفاجأ بالمزيد من الاستطرادات التي لا تضيف الكثير وتمد في الفيلم لتصل إلى النهاية الثانية التي لا تتحقق ثم النهاية الثالثة التي يختتم الفيلم عندها.

أما المشكلة الثانية، فهي أننا ندرك حقا منذ البداية أن بطلنا مصاب باضطراب عقلي خطير بسبب عجزه عن التحقق في مجتمع يضطهد الضعفاء، ونحن بالتالي نتعاطف معه، لكن المشكلة أننا نظل نتعاطف معه حتى بعد أن يصبح أداة رهيبه للعنف والقتل وسفك الدماء بدرجة هائلة، وهو الذي سيذهب بانحدار العنف الجماعي في نهاية

ومن ناحية أخرى، يمكن اعتبار «الجوكر» فيلم دراسة لشخصية إلى العنف، وهو يعيش بمفرده مع أمه المريضة في شقتها الضيقة الحبيبة. لا يعرف من هو أبوه، يشاهد الاثنان البرنامج التلفزيوني الشهير الذي يقدمه أسبوعيا المقدم المعروف موراي فرانكلين (مباشر مع موراي فرانكلين).

أما فرانكلين الذي يعشق آرثر أسلوبه ويحلم بأن يظهر في برنامجه، فيقوم بدوره في الفيلم روبرت دي نيرو الذي رآناه في فيلم «ملك الكوميديا» (1982) لمارتن سكورسيزي في دور يشبه -من زاوية ما- دور آرثر في «الجوكر»، وهو ما دفع الكثيرين إلى المقاربة بين «الجوكر» و«ملك الكوميديا» بل ومحاوله البحث عن علاقة بينه وبين فيلم سكورسيزي الآخر الذائع الصيت «سائق التاكسي» (1976).

لكن مأساته الشخصية دفعت به إلى قدر من الهوس والجنون وقد تقوده أيضا إلى العنف، وهو يعيش بمفرده مع أمه المريضة في شقتها الضيقة الحبيبة. لا يعرف من هو أبوه، يشاهد الاثنان البرنامج التلفزيوني الشهير الذي يقدمه أسبوعيا المقدم المعروف موراي فرانكلين (مباشر مع موراي فرانكلين).

أما فرانكلين الذي يعشق آرثر أسلوبه ويحلم بأن يظهر في برنامجه، فيقوم بدوره في الفيلم روبرت دي نيرو الذي رآناه في فيلم «ملك الكوميديا» (1982) لمارتن سكورسيزي في دور يشبه -من زاوية ما- دور آرثر في «الجوكر»، وهو ما دفع الكثيرين إلى المقاربة بين «الجوكر» و«ملك الكوميديا» بل ومحاوله البحث عن علاقة بينه وبين فيلم سكورسيزي الآخر الذائع الصيت «سائق التاكسي» (1976).

دراسة شخصية

إلا أن فيلم تود فيليبس يقوم على رؤية مستقلة تخص صاحبها، وهي رؤية مستمدة جزئيا من الخيال المصور ربما تكون قد تأثرت على نحو أو آخر، ببعض الجوانب في أفلام أخرى منها أيضا فيلم هيتشكوك الشهير «سايبكو»، ولكن في سياق الواقعية التي لا تبعد عن المسار الصارم الذي يقترب كثيرا من الطابع التسجيلي في خلق مكونات الصورة، أي الالتزام بأسلوب الفيلم الواقعي، وسينما الاحتجاج السياسي والغضب التي عرفتها هوليوود منذ الستينات.

الجوكر يفشل في أن يصبح مهرجا كوميديا، ويظرد من كل عمل الحق به، خاصة بعد أن يسقط منه المسدس الذي كان في جيبه في أحد فصول مدرسة للأطفال كان يقدم لهم عرضا ضاحكا. ولا تجدي شكواه وتبريراته وأعداره نفعا بل يتم لفظه بكل قسوة.

وعند كل موقف صعب يقابله في حياته يتفجر آرثر في فاصل من الضحك الهستيري الذي يبدو في نهايته أقرب إلى نوبة من البكاء. هذا الضحك المتواصل الذي يشبه شهقة طويلة، هو غالبا القشرة التي يستتر داخلها آرثر لكي تعوضه عن الكلام أو التعليق كما أنه ينسى أيضا بحالته «العقلية»

لكن مأساته الشخصية دفعت به إلى قدر من الهوس والجنون وقد تقوده أيضا إلى العنف، وهو يعيش بمفرده مع أمه المريضة في شقتها الضيقة الحبيبة. لا يعرف من هو أبوه، يشاهد الاثنان البرنامج التلفزيوني الشهير الذي يقدمه أسبوعيا المقدم المعروف موراي فرانكلين (مباشر مع موراي فرانكلين).

أما فرانكلين الذي يعشق آرثر أسلوبه ويحلم بأن يظهر في برنامجه، فيقوم بدوره في الفيلم روبرت دي نيرو الذي رآناه في فيلم «ملك الكوميديا» (1982) لمارتن سكورسيزي في دور يشبه -من زاوية ما- دور آرثر في «الجوكر»، وهو ما دفع الكثيرين إلى المقاربة بين «الجوكر» و«ملك الكوميديا» بل ومحاوله البحث عن علاقة بينه وبين فيلم سكورسيزي الآخر الذائع الصيت «سائق التاكسي» (1976).

لكن مأساته الشخصية دفعت به إلى قدر من الهوس والجنون وقد تقوده أيضا إلى العنف، وهو يعيش بمفرده مع أمه المريضة في شقتها الضيقة الحبيبة. لا يعرف من هو أبوه، يشاهد الاثنان البرنامج التلفزيوني الشهير الذي يقدمه أسبوعيا المقدم المعروف موراي فرانكلين (مباشر مع موراي فرانكلين).

أما فرانكلين الذي يعشق آرثر أسلوبه ويحلم بأن يظهر في برنامجه، فيقوم بدوره في الفيلم روبرت دي نيرو الذي رآناه في فيلم «ملك الكوميديا» (1982) لمارتن سكورسيزي في دور يشبه -من زاوية ما- دور آرثر في «الجوكر»، وهو ما دفع الكثيرين إلى المقاربة بين «الجوكر» و«ملك الكوميديا» بل ومحاوله البحث عن علاقة بينه وبين فيلم سكورسيزي الآخر الذائع الصيت «سائق التاكسي» (1976).

دراسة شخصية

إلا أن فيلم تود فيليبس يقوم على رؤية مستقلة تخص صاحبها، وهي رؤية مستمدة جزئيا من الخيال المصور ربما تكون قد تأثرت على نحو أو آخر، ببعض الجوانب في أفلام أخرى منها أيضا فيلم هيتشكوك الشهير «سايبكو»، ولكن في سياق الواقعية التي لا تبعد عن المسار الصارم الذي يقترب كثيرا من الطابع التسجيلي في خلق مكونات الصورة، أي الالتزام بأسلوب الفيلم الواقعي، وسينما الاحتجاج السياسي والغضب التي عرفتها هوليوود منذ الستينات.

الجوكر يفشل في أن يصبح مهرجا كوميديا، ويظرد من كل عمل الحق به، خاصة بعد أن يسقط منه المسدس الذي كان في جيبه في أحد فصول مدرسة للأطفال كان يقدم لهم عرضا ضاحكا. ولا تجدي شكواه وتبريراته وأعداره نفعا بل يتم لفظه بكل قسوة.

وعند كل موقف صعب يقابله في حياته يتفجر آرثر في فاصل من الضحك الهستيري الذي يبدو في نهايته أقرب إلى نوبة من البكاء. هذا الضحك المتواصل الذي يشبه شهقة طويلة، هو غالبا القشرة التي يستتر داخلها آرثر لكي تعوضه عن الكلام أو التعليق كما أنه ينسى أيضا بحالته «العقلية»

شكل فوز الفيلم الأميركي «الجوكر» (أو المهرج) بجائزة «الأسد الذهبي» لأفضل فيلم في مهرجان فينيسيا السينمائي، مفاجأة عند الكثيرين، ليس لأنه أقل من مستوى الفوز بالجائزة، فهو عمل جيد ومتناسك على جميع المستويات، بل لكونه ينتمي على نحو ما، إلى سينما هوليوود التي تستند إلى الخيال المصور (الكوميك بوكس) التي اشتغلت عليها كثيرا.

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

فيلم «الجوكر» Joker (أو المهرج) الذي أخرجه تود فيليبس، عمل مستمد من الخيال، لكنه ينتمي بقوة إلى الواقع، وهو يبدو كما لو كان يدور في الماضي، فالأزياء والسيارات والملابس والإكسسوارات (بما في ذلك جهاز التلفزيون البيضاوي الصغير) تنتمي كلها إلى حقبة ماضية قد تكون أوائل الثمانينات، إلا أنه يمكن أيضا أن يكون عملا مستقبليا، يقدم تصورا لما يمكن أن يحدث إذا استمرت الأحوال على ما هي عليه في مدينة «غوثام» (Gotham) التي يحافظ الفيلم على اسمها الراسخ في مسلسلات «باتمان» المعروفة، ولكنه يقدمها بكل معالم نيويورك الحالية وهو اختيار واضح ومتعمد بالطبع.

نحن اسام بطل نقبض anti-hero، أو بطل مهزوم ومحبط ومعقد، لا يتمتع بأي قدر من البطولة بل من المشهد الأول يتعرض للفكك به بعد أن يعتدي عليه عدد من الشباب ويسرقون منه لافتة «كل شيء للديع» التي يرفعها أمام أحد المتاجر التي تصفي بضاعتها، ويحطمونها من دون هدف سوى السخرية والإذراء واللهو، فلما بان «آرثر» الذي يرتدي ملابس «المهزج» هو مجرد «مهزج» لا حول له ولا قوة.



تود فيليبس يقدم رسالة «فوضوية» واضحة تميل إلى فكرة «التطهير» الاجتماعي بالعنف الفوضوي المجنون

إلا أن آرثر سيقبلي بعد ذلك مسدسا للدفاع عن نفسه. وهو ما يتناقض مع مظهره العام وتكوين شخصيته، فقد كان يحلم بأن يصبح مهرجا منذ طفولته،



ضحك الجوكر كأنه البكاء